Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا إلى أن شدة الحياة خلعت على نفسه الضيق والتبرم — وإن لم يعرفهما فى نفسه — مما يدفعه إذا قال إلى أن يبدأ بما يريد أن يقول ، وإذا سمع أن يطلب سماع ما يراد أن يقال حسب .

ثم إن الخطيب العربى — إلى ذلك — لم يكلف نفسه وضع خاتمة ينهى بها كلامه إذا ما انتهى من عرض فكرته لذلك السبب الفطرى ذاته .

ومن ثم لم تكن فى الخطبة الجاهلية أقسام واضحة ، وإنما هى أقوال مباشرة ، كما تبدأ تنتهى ، وفى خطبة مرثد الخير التى قدمناها آنفا ما يشير إلى تلك السمة فى خطابة الجاهليين ويقررها ، فضلا عن أن تلك السمة هى الطبيعة الواضحة التى لو وجد غيرها فى خطابتهم لكان تزيدا أو شذوذا .

٥ — سذاجة الأفكار التى تشتملها الخطبة الجاهلية وبساطتها على العموم ، وذلك لضآلة نصيب العرب فى تلك الآونة من الثقافة الفكرية ، فقد كان جل همهم — فى الثقافة — أن يعرف المرء شيئا أو أشياء مما يحيط به مما تتطلبه الحياة فى بيئته تلك فعلى من يريد الثقافة أن يعرف شيئا عن مواقع النجوم ومطالع الكواكب ، وعن أسرار الرياح فى هبوبها وتنوعها . وعن تاريخ القبيلة ، وأيام العرب ، أو تاريخ أمته ... إلى غير ذلك من المعلومات السطحية البسيطة التى لاتخرج عن ذلك الإطار الضيق المحدود ، والتى لاتحوج إلى كد ذهن ، أو إعمال فكر ، أو قصد إلى ترتيب وسعى إلى استنباط ، وإنما هى حقائق مقررة قصارى ماتتطلبه أن يستوعب ويستذكر .

ولم يقف الأمر بالأفكار عند حد السذاجة فى طبيعتها ، بل لقد كانت ساذجة كذلك فى عرضها ، فلم يكن هناك اهتمام بترتيب الأفكار وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض .. ولكن الخطيب يرسل أفكاره حسبما تتوارد فى مخيلته ، دون أن يعتنى بتنسيقها وترتيبها ، حتى ليعسر على القارىء فى كثير من الأحيان أن يحدد موضوع الخطبة الذى يقصد إليه الخطيب .

٦ — التزام السجع ؛ فقد التزموه فى خطبهم ، ليكون بديلا من موسيقى الشعر فلا تتسع الهوة بين الفنين ، ولتكون الخطبة أسهل فى السمع ، وأقرب من القلب ، ولتكون الخطبة أسرع فى الشيوع وأبعد فى الذيوع .